



مظاهر كثيرة.. ووضع خطير
عندما يفلس المجتمع.. أخلاقياً

إن الأخلاق الحسنة هي أعظم ما تعتز به الأمم وتمتاز عن غيرها والأخلاق تعكس ثقافة الأمة وحضارتها ويقدر ما تعلق أخلاق الأمة تعلق حضارتها وتلفت الأنظار لها ويتحير أداؤها فيها ويقدر ما تنحط أخلاقها وتضيع قيمها تنحط حضارتها وتذهب هيبتها بين الأمم وكما سادت أمة ولو كانت كافرة وعلت على غيرها بتمسكها بمحاسن الأخلاق كالعدل وحفظ الحقوق وغيره وكما ذلت أمة ولو كانت مسلمة وضاعت وقهرت بتضييعها لتلكم الأخلاق.

يقول شوقي رحمه الله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت **** فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

ويقدر بعد مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم عن محاسن الأخلاق واتصاف أبنائها بالأخلاق السيئة الرديئة يكون المصنك والمشقاء بما يعني أن هذا المجتمع يعاني أزمة أخلاقية ربما تؤدي إلى انهياره. وفي هذا المقال نبين بعض مظاهر أزمة الأخلاق راجين من وراء التنبيه عليها إلى تجنبها والعمل على علاجها. ومن أهم هذه المظاهر:

النفاق الاجتماعي

فبعض الناس يحسن اللعب على كل الحبال فتراه يأتي كل قوم أو مجموعة بما يحبون ولو كان ذلك مخالفا لما أتى به الآخرين بل لو كان مخالفا لمبادئه هو وقناعاته فهو مع الجميع وإن كانوا متضادين لكن يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه آخر نعم.. لقد وصفه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذي الوجهين وأخبر أنه من شرار الخلق لعظم جرمه وفساد طويته وخبث محاولاته وبشاعة موافقه وفساد صنيعه يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: تجددون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. إن ذا الوجهين يجمع بمحاولاته بين مجموعة من المحرمات يرتكبها عمداً ومع سبق الإصرار تدفعه إلى ذلك نفسيته المريضة فتحمله على الكذب وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار. وتحمله تلك النفس الخبيثة على النميمية واليمين الفاجرة واللعن والغيبة وكل ذلك جالب سخط الله عليه ووسائل هلكة تعرضه للوعيد الشديد قال سبحانه: (وَلَا تَطْعَمْ لِكُلِّ حَالِفٍ مِّمَّنْ هُمْ أَهْمَاءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ لَا يَخْتَارُونَ) سورة المائدة (10-12) سورة المقلّم.

المتكبرون المتفيهقون

ومن مظاهر أزمة الأخلاق عند بعض الناس حالة الكبر التي تسيطر عليهم فيتعالون على خلق الله ويظنون أنهم أعلى من الناس وأفضل منهم إنهم المتفيهقون الذين وصفهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ببعض صفاتهم حين سئل عنهم بأنهم المتكبرون إن

من أبرز صفات المتكبر المتعظم في كلامه والارتفاع على الناس في الحديث وإذا كان مثقفاً فإنه يحاول التحدث بالغريب من الكلام إظهاراً لفضله كما يحلو له؛ وازدراءً لغيره تلك علة خلقية تشعر بضعف نفسية المتفهيق ولذلك يكون بعيداً في الدنيا عن قلوب الناس معزولاً عن خيارهم مقروناً في الآخرة بمن أبغضهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفهيقون قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفهيقون؟ قال: المتكبرون.

إنهم يعيشون أزمة حقيقة سببها ضعف نفوسهم ومرضى قلوبهم إذ لو كانوا يعلمون ويفقهون لتواضعوا ولرفعهم الله بذلك التواضع عنده وعند خلقه:

تواضع تكن كالنجم لاج لناظر **** على صفحات الماء وهو رفيع
ولما تك كالدخان يعلو بنفسه **** على طبقات الجو وهو وضيع

القنوات الفضائية والروبيضة

وإن مما أصاب الأمة في صميم أخلاقها انتشار القنوات الفضائية وغزوها بيوت المسلمين واستخدام هذه القنوات من قبل بعض الناس استخداماً مُخلاً بالأيمان مخلاً بالشرف والمروعة والأخلاق وليته اقتصر في ذلك على نفسه بل جعل أولاده -ذكرهم وأنتاهم- في غياهب الظلمة وأفسد عليهم أخلاقهم ودينهم بترك المحبل على الغارب تعاوناً منه مع أعداء الإسلام في إفساد الأمة من حيث يشعر أو لا يشعر فصارت الأسرة بهذا الشكل تشاهد ما هب ودب في هذه القنوات إذ لم تشعر أن عليها رقيب فأثيرت الشهوات وفسدت المروءات وانتشر التبرج والسفور والتشبه بالكفار والكافرات وبدأنا نرى صوراً غريبة في بعض بقاع العالم الإسلامي لمن هن من المسلمات متبرجات كاسيات عاريات ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول عن مثل هؤلاء: العنوهن فإنهن ملعونات.

ولقد رأينا شباباً من المسلمين يتسكعون في الطرقات قد أثارتهم مثل هذه الصور الخليعات فأذوا عباد الله في بناتهم وأخواتهم المؤمنات كل ذلك هو من نتائج مشاهدة الأفلام والمسلسلات الخليعة التي انتشرت في بلاد المسلمين فتميعت أخلاق كثير من الشباب بل وصل الأمر إلى موقعة الفواحش من زنا ولواط وغيره نسأل الله لنا ولهم الهداية والعافية..
ولما شك أن الإسلام يحرم الزنا ويجعله من الفواحش والكبائر ومن أجل خطورة هذا الموقف فقد حرم الإسلام المقدمات التي تؤدي إلى ذلك ومنها إطلاق البصر إلى الحرام قال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ غُضُوفٌ مِّنْ أَبْصَارِهِمْ} (30) سورة النور وقال بعد هذا: {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} (30) سورة النور وهنا دليل على أن عدم غض البصر يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة وقد قال -تعالى- محذراً من البصر الخائن: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (19) سورة غافر. وليس البصر وحده مقدمة للحرام فهناك أيضاً السمع والقلب {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ لَئِن عَنَّه مَسْئُومًا} (36) سورة الإسراء.

وكثير من هذه القنوات جعلت من نفسها أبواباً للفتن وإشاعة الفوضى والاضطراب في المجتمعات من خلال نشر الأكاذيب واستضافة المتأفهيق ليتكلموا في الأمور الكبار التي تهم الأمة وتؤثر في حاضرها ومستقبلها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيأتي على الناس سنوات خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الروبيضة قيل: ومن الروبيضة يا رسول الله؟! قال: الرجل المتأفهي يتكلم في أمر العامة. رواه أحمد.
إن دينهم رواية الأخبار ونقل الغث والصحيح والصدق والكذب ينتقل أحدهم من قناة إلى أخرى ممتطياً مطية الكذب -قالوا كذا وزعموا كذا- دون تثبت في النقل أو وزن لما يحدث به وذلك من أوضح البراهين على اعتلال خلقه وضعف نفسيته يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: بئس مطية الرجل زعموا.

مع أن المشرع الحنيف قد أمر العباد بالتثبت قبل نقل الكلام أو اتخاذ قرار بناء على مجرد قيل وقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تَصِيبُوا قَوْمًا بَهِلَالَةً فَتُصَبِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (6) سورة الحجرات.

انتشار الكذب وخصوصاً في البيع والشراء

بعض التجار هدامهم الله لا يشكر الله فيما أنعم عليه من المال فتراه يكذب في وصف سلعته ويروجها بالأيمان الكاذبة ويغش المشتري ويسوم ويبيع على أخيه المتاجر حسداً منه ولما يلتزم بشروط البيع من الضمان وغيره ويغلب عليه الجشع والمبخل في تعامله مع الآخرين وقل من التجار من يراعي حدود الله في تجارته ويتحرى الإحسان إلى الخلق من إنظار المعسر وإقالة المشتري والنصح للناس والصدق في التعامل وقد كثر الغش في زماننا وقلت الأمانة.

ولأن التاجر الصدوق عملة نادرة فإنه يوم القيامة في منزلة عالية كما روي في الحديث: التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والمصدقين والشهداء.

ولما شك أن هناك مظاهر أخرى كعقوق الوالدين والظلم والمقسوة والمسروقة وغيرها من مظاهر الأزمة الأخلاقية لكننا نكتفي بهذا القدر رغبة في الاختصار وفي نهاية المقال لابد من توضيح أمر مهم وهو أن هذه الأمة كالغيث لا ينقطع خيرها ولما ينبغي لأحد أن يحكم على الأمة جمعاء بفقدائها للخلق الحسن أو الفساد أو نحو ذلك من الأحكام الجائرة التي تشعر باليأس والإحباط والقنوط وليس هذا

سبيل المؤمن المتبصر في دينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم . رواه مسلم.
وإنما المؤمن ينبه على الأخطاء ويعالجها ويحسن الظن بربه ولما يقطع الرجاء به ويتفائل في نظراته إنما كان قصدنا هنا هو لفت
النظر إلى هذه المظاهر السيئة لتجنبها ونعالجها ونسأل الله أن يتولانا والمسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد والله وصحبه
أجمعين.